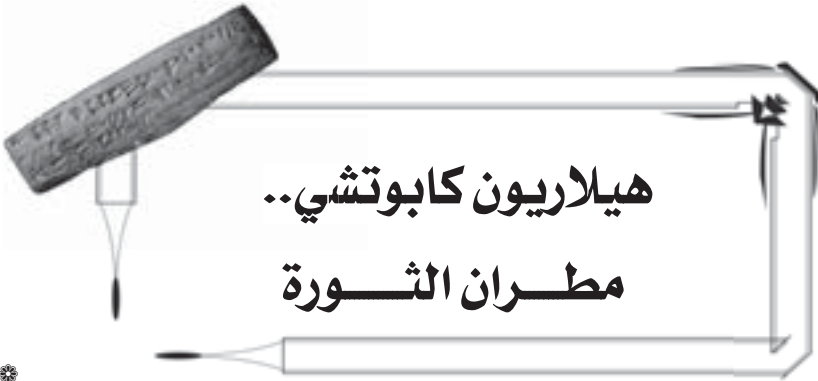


أفاق المعرفة



مهند معروف صالح

كما شد الشيخ عز الدين القسام رحاله من مدينة جبلة على الساحل السوري، للدفاع عن فلسطين في وجه أكبر وأعظم مؤامرة عرفها التاريخ الحديث، وهي إقصاء شعب بكامله عن وطنه، ليمنح لشعب مسخ، مستسخ من روايات وأساطير توراتية بالية. كذلك كان لسورية أن توفد من بقية أطراف شعبها، وهذه المرة من قلب مسيحيتها الأصلية والتي انطلقت من قبل إلى بقية أصقاع العالم حاملة رسالة يسوع الناصري ودعوته إلى التسامح وإقامة العدل والمساواة بين البشر.

✿✿ كاتب فلسطيني.

✿ العمل الفني: الفنان رشيد شمه.

يدمي فؤادي. إنه سبب الضعف والضياع الذي منه نعاني حالياً.. ولا يغير الله ما في قوم حتى يغيروا ما في أنفسهم، لذا باسم الله الواحد الأحد، بدم شهدائنا الأبرار بدموع اليتامى والأرامل والثكالى وبعذابات إخوتنا المساجين الأبطال أستحلف الجميع أن يضعوا حدا لخلافاتهم أن يوحدوا صفوفهم أن يتحاوروا ولا يتقاتلوا كي نحقق ما إليه نصبو من حرية وعزة وكرامة..

١٠/١ / ٢٠٠٨ .

هذا اقتباس مما جاء في رسالة المطران المناضل هيلاريون كابوتشي من رسالته الموجهة للشعب الفلسطيني من منفاه القسري في روما بمناسبة عيد الفطر السعيد.

فمن هو هذا المناضل المسيحي؟ المستمر بعباطئه ونضاله المشرف لنا جميعاً.

إنه سوري المولد، ولد بمدينة حلب عام ١٩٢٢، وأصبح مطرانا لمدينة القدس لكنيسة الروم الكاثوليك في عام ١٩٦٥، لم يستكن لترف الحياة والمنصب وهو يرى المقدسات وفلسطين تتن تحت وطأة المحتل الصهيوني، فانضم للثورة الفلسطينية، واستطاع إدخال معدات قتالية عالية الجودة بسيارته المرسيديس السوداء، وقام بإخفاء كثير منها استخدمت كمخازن سرية وقواعد لوجستية لل فدائيين فترة الستينيات والسبعينيات

وكنت قد التقيت بهذا الرجل العجوز في الملتقى العربي الدولي لحق العودة والذي عقد في دمشق في الثالث والعشرين من تشرين الثاني لعام ٢٠٠٨م، شعرت حينها أنني أمام زيتونة فلسطينية عتيقة يزيد ثمرها كلما تقدمت في العمر، ويطيب نوعه ويصفي زيتته وتزكى رائحته، لم يكن رجل دين بقدر ما كان مناضلاً صلباً يدافع عن فكرته بكل ما أوتي من قوة وعزيمة، يمازج بين نور الإيمان المشرق في وجهه، وبين صلابة التأثير المندفح في سريرته.

وعندما جاء دوره لإلقاء كلمته أدمى القلوب كما أدمى العيون، حين دوى صوته في أرجاء القاعة: «لم يبق من عمري الشيء الكثير، أتمنى أن أعود إلى القدس لأدفن فيها حين موتي». عندها خيم صمت جنائزي على الجميع وقد رأيت دموع الحضور تنهمر وكنت من بينهم، حتى ظننت أن الرجل سيموت الساعة وهاهو يعني نفسه.

«قم يا عبدي لأقوم معك. اللهم اهدنا الصراط المستقيم، وحدنا كما أنت واحد. وحدة الصف، التضامن، هو حجر الزاوية هو الأساس هو المنطلق هو السلاح الفتاك لما إليه نصبو من تحرير وتحرر. كل بيت ينقسم على نفسه يخرب. إن الانقسام العميق القائم حالياً بين أخوة البارحة وأعداء اليوم

والحديث عن نائر حلب يقودنا من جديد إلى التفكير والتبصر في الدور الملقى على عاتق المسيحيين العرب الذين يشكلون في كثير من المواقع والمواضع جسرا بين الشرق الذي أطلق عليه البعض الإسلامي والغرب المعروف كذلك بالمسيحي رغم خطأ تلك التوصيفات، لكنه يبقى في كل الأحوال لهؤلاء دوراً بارزاً ولاسيما أن شهادتهم لدى المجمع الغربية هي شهادة غير مجروحة وتعتبر عن شراكة أصلية في وحدة الوطن، والمصير ودورهم يبطل مزاعم الجدران ويحطم أساطير الصراعات المتبادلة، وحتمية المواجهات الحضارية والدينية.

وبنفس القياس يمكن التحدث عن المطران هيلاريون كابوتشي ودوره في الدفاع عن المدينة المقدسة القدس، وكيف قدر له أن ينقل إلى العالم الغربي صورة صادقة عن المعاناة التي تعيشها زهرة المدائن تحت الاحتلال الإسرائيلي. كان كابوتشي صوت الضمير الذي ذكر العالم المسيحي الغربي بأهمية القدس بالنسبة للعالم المسيحي حتى لا تسكت الأفواه أمام الاغتصاب الصهيوني اليومي.. لكن ماذا عن القدس بالنسبة للمسيحية والمسيحيين والإسلام؟ القدس هي مكان روحي أكثر أهمية من كونه جغرافياً بالنسبة لأتباع المسيح شرقاً

حتى تمكن الاحتلال من اعتقاله بسيارته التي كانت محملة بأسلحة ومتفجرات مهربة ومتطورة آنذاك في ٨/٨/١٩٧٤، وحكمت عليه محكمة عسكرية بالسجن ١٢ عاماً، أفرج عنه بعد أربع سنوات بوساطة من الفاتيكان، ورحل من فلسطين في نوفمبر ١٩٧٧ إلى منفاه القسري في روما ومازال فيها حتى الآن.

ضمير القدس والفلسطينيين:

كان المطران كابوتشي صوت الضمير المنادي في وجه الغرب والعالم المسيحي بأن فلسطين أرض عربية مغتصبة وأن القدس هي المدينة المقدسة للمسيحيين والمسلمين على السواء وأن محاولات إسرائيل فرض واقع جديد عليها هو من الادعاءات الكاذبة.. واثراً للإفراج عنه بعد سجنه، غادر هيلاريون كابوتشي القدس، لكنها لم تغادر قلبه، ومن أقواله ليس المطران سيدياً.. إنه خادم الرب والإنسان والراعي.. وما يزال المطران كابوتشي يشارك في المؤتمرات الدولية رافعاً راية الحق متقدماً الصفوف بثبات وتصميم.

«ضميري ووجداني فرضا علي أن أهب لمساعدة هذا الشعب ولقاء مساعدتي ودفاعي عن حقوقه ألقى القبض علي وحكم علي باثنتي عشرة سنة سجن قضيت منها أربع سنوات خلف القضبان.



وغيراً وهي مدينة السلام، ومن العجب أن تفقد سلامها حالياً، فالقدس مدينة عاش بها السيد المسيح وكرز فيها بالإيمان واضطهد وقام ومازال أثره فيها حتى الآن.

مدينة القدس هي المدينة التي تباركت بدم أول شهيد مسيحي وهو اسطفانوس أول الشماسة.. وهي التي حل فيها الروح القدس وعمل عمله العميق في نشر الإيمان، فالقدس إذاً هي المركز الذي تتحد فيه كل الآراء وكل القلوب.

فإذا تكلمنا عن القدس نجد أنفسنا قلباً وروحاً وفكراً واحداً مقدساً بالقدس، فهي المدينة التي بكى عليها المسيح وفيها ذكريات كثيرة عن معجزاته فيها بستان جثماني وجبل صهيون وجبل الزيتون وبركة سلوام وبيت حسدا، وهي أماكن عديدة يجلها المسيحيون ويقدمون ترابها وذكريات العميقة، وربما غابت هذه الحقائق عن ذاكرة العديد من المسيحيين الغربيين في ضوء المؤامرات اليهودية المتواصلة والادعاءات الكاذبة التي تلبس الذئب ثوب الحمل. وقد جاء هيلاريون كابوتشي ليذكر الغرب بأن فلسطين أرض عربية مغتصبة وأن القدس هي المدينة المقدسة للمسيحيين والمسلمين،

على السواء وإن محاولات إسرائيل فرض واقع جديد عليها هو من قبيل الادعاءات الكاذبة بأنها كانت وستظل يهودية.

المطران الفدائي:

وصل هيلاريون كابوتشي إلى القدس كمطران للروم الكاثوليك في العام ١٩٦٥م أي قبل نحو عامين من حرب عام ١٩٦٧م، وعلى الطرقات كنت تراه شاباً يافعا أسمر البشرة يميل إلى الصلح ذي لحية سوداء كالفحم طيب الحديث ذكي يقظ.

لم يخف كابوتشي تأييده للقضية الفلسطينية وكان يجهر بالحديث ضد الاحتلال الإسرائيلي وكثيراً ما بادر إلى تنظيم المسيرات المنددة بالعدوان الإسرائيلي، وبعد

لدى جهاز الأمن العام الصهيوني بشأن نقل الأسلحة عبر معابر حدودية رسمية بوساطة أشخاص يحق لهم المرور دون الخضوع للفتيش مثل: مستخدمو الأمم المتحدة، ودبلوماسيون، ورجال دين من الكنائس المسيحية. غير أن هذا الاعتقاد لم يكن كافياً بالطبع ولذا واصل الجهاز عمله الاستخباري لمعرفة أثر طريق تهريب الوسائل القتالية ومصدرها. وكان أحد المصادر التي شغلها جهاز الأمن العام الصهيوني منذ مدة ضد قيادات المقاومة هو الذي جاء بالاختراق، إذ وقع الاختراق في أواخر يوليو تموز ١٩٧٤ حيث تمّ تجنيد أحد ضعفاء النفوس. ولدى عودة العميل الذي تمّ تجنيده حديثاً من مهمته أبلغ جهاز الموساد بأن مسؤول المقاومة (أبو فراس) الذي كلفه بعد مشاورات بمهمة إخفاء الوسائل القتالية. في مخابئ سرية بالضفة الغربية.

وقيل للمصدر في تلك المناسبة، بعد أن تعهد بالتمزام السرية، إن الشخص الذي ينقل الوسائل القتالية إلى داخل الضفة الغربية والذي سيسلمه إياها لتوزيعها على المخابئ المذكورة ما هو إلا المطران هيلاريون كابوتشي!.. وبالتالي كُلف العميل من قبل الموساد بالتواصل مع كابوتشي وتسلم الوسائل القتالية التي سيقوم بتهريبها في

موت الرئيس المصري جمال عبد الناصر وقع على عرائض تدين إسرائيل، وكان يوزع الأموال على أسر الشهداء والفدائيين الفلسطينيين، وهو الذي اقترح فكرة تشكيل لجنة سرية تقوم بتنظيم المعارضة المكثفة للاحتلال وأيد فكرة منع العمال العرب في المناطق المحتلة من العمل في إسرائيل قائلاً «من الأفضل للعربي أن يأكل الخبز فقط من قيامه بخدمة الإسرائيليين».

في شهر مايو أيار ١٩٧٤ تمّ اكتشاف ٣ صواريخ كاتيوشا قرب حي أرمون هنتسيف بجنوب شرق القدس وهي موجّهة وجاهزة للإطلاق باتجاه وسط المدينة. وقبل ذلك بيوم اكتُشفت في القدس أيضاً عبوة ناسفة مكوّنة من ثلاث قنابل «بازوكا». وفي الشهر ذاته جرى اعتقال ثلاثة أشقاء من عائلة ملاعبة اعترفوا بقيامهم بسلسلة عمليات فدائية بينها قتل سائق سيارة أجرة وتفخيخ سيارته. كما اعترف الثلاثة بانتماثلهم إلى المقاومة الفلسطينية وبحصولهم على وسائل قتالية عديدة عبر مخبأ سرّي في مدرسة تعود للكنيسة اليونانية الكاثوليكية في حي بيت حنينا قاموا فيما بعد بإخفائها في ثلاثة مواقع.

وحتى قبل ورود معلومات حول مصادر الوسائل القتالية كان الاعتقاد قد تعزز

سيارته ومن ثم إخفائها لأجل مجموعات الفدائيين العاملة في الضفة الغربية.

وكان المطران كابوتشي أعلى شخصية كاثوليكية عربية. وتبين أن المنصب الديني الذي تقلده لم يمنعه من إقامة علاقات حميمة مع قيادة المقاومة ومساعدتهم بالعمل الفدائي المنظم. وفي أعقاب المعلومات الجديدة هذه أصبح جهاز الأمن العام الصهيوني يراقب كابوتشي ويتتبع تحركاته. واتضح بفعل إجراءات التتبع هذه يوم ٨ آب ١٩٧٤ أن سيارته المحملة بالمتفجرات تسير في ظروف مثيرة للشبهة باتجاه القدس وأن كابوتشي نفسه ومساعدته يستقلانها. وتقرر إيقاف السيارة فوراً خشية انفجار المتفجرات بداخلها.

وهكذا تم، ونُقلت السيارة ومَن فيها إلى مركز الشرطة في حاكورة الموسكوبية بالقدس حيث تم في ورشة السيارات تفكيكها وتفتيشها مما أدى إلى اكتشاف ٤ رشاشات كلاشنيكوف ومسدسين وعدة طرود تحتوي على متفجرات بلاستيكية وصواعق كهربائية وقنابل يدوية وما إلى ذلك.

وعند التحقيق معه أنكر كابوتشي بدايةً ضلوعه في عملية التهريب قائلاً بأنه تم نقل الوسائل القتالية إلى سيارته دون علمه. غير أن مغلفاً عثر عليه لدى تفتيش أمتعته

كتب عليه بخطه رقم المسؤول (أبو فراس) في لبنان أثبت ضلوعه في هذه العملية الفدائية. وبالتالي اعترف كابوتشي بأنه تلقى في نيسان ١٩٧٤ من (أبو فراس) حقيبتين ونقلهما بسيارته إلى الضفة الغربية حيث أخفاهما داخل مدرسة الكنيسة اليونانية الكاثوليكية في بيت حنينا. وروى كابوتشي أيضاً أنه طُلب منه في شهر تموز من العام نفسه نقل وسائل قتالية أخرى تم إخفاؤها في أماكن مختلفة داخل سيارته لكن للأسف تم ضبط السيارة عند اعتقاله.

ولم يكن مجرد اعتقال كابوتشي وضبط الوسائل القتالية خاتمة لهذه العملية، إذ تم الإفراج عن كابوتشي بعد اعترافه وموافقته على التعاون مع جهاز الأمن العام الصهيوني لتضليلهم.

وفي اليوم التالي وبتوجيه من الموساد وتحت إشرافه تم خلق التواصل بين المصدر وكابوتشي الذي سلمه الوسائل القتالية داخل حقيبتين (علماً بأن كابوتشي كان مصمماً على إتمام العملية الفدائية). وكانت الأمور تسير ظاهرياً على ما يرام من خلال عقد لقاءات يومية مع العميل السري الجديد للجهاز ألا وهو كابوتشي حسب «اعتقاد الموساد»، غير أن معلومات مختلفة أشارت إلى نية كابوتشي تسليم السلاح وتنفيذ العملية،

تغادره، فهو حتى الساعة يعتبر نفسه مطرانا للقدس وعلى حد تعبيره فالمطران ليس سيدا، المطران هو خادم، هو أب، والوالد عندما يرى ابنه مهدداً يهب لنجدته أياً كان الثمن، مضحياً بالغالي، والنفيس لمساعدته، والمطران هو أيضاً الراعي والراعي عندما يرى الذئب مقبلاً يضحي بحياته دفاعاً عن قطيعه.

لكن من هو القطيع في عيون الراعي هيلاريون كابوتشي؟ يصرح ذات يوم بالقول «قطيعي أنا منذ سنة ١٩٦٥م يوم دخولي إلى القدس هو الشعب الفلسطيني، شعب رأيتهم بأعين تحت الاحتلال شعب مغلوب على أمره حقوقه مهضومة كرامته مداسة فكيف تريدوني أن أقف مكتوف الأيدي وأنا أعتبر نفسي أب وراعي لهذا الشعب؟ ضميري ووجداني فرضا علي أن أهب لمساعدة هذا الشعب، ولقاء مساعدتي ودفاعي عن حقوقه التي القبض علي وحكم على باثنتي عشرة سنة سجن قضيت منها ٤ سنوات خرجت بعدها بناء على تدخل الفاتيكان في شخص البابا بولس السادس رحمه الله، تدخل البابا لأنني آنذاك كنت مضرباً عن الطعام، وقد مضى على إضرابي هذا ٣٧ يوماً نزلت خلاله ٣٥ كيلو غراماً وبالتالي كانت حياتي في خطر فتدخل البابا لإنقاذ

ثم الهرب بداعي حضور مؤتمر للمطارنة في بيروت وبالتالي تقرر اعتقاله.

وكانت هذه نهاية القضية. وتمت محاكمة كابوتشي وفرض عقوبة السجن لمدة ١٢ عاماً عليه، لكن أُفرج عنه في نوفمبر تشرين الثاني ١٩٧٧ بطلب من قدااسة البابا بعد خوضه إضراباً عن الطعام كاد أن يقضي على حياته. وعلى الرغم من وعود حاضرة الفاتيكان وبخلاف تعليماتها إليه فقد أصبح المطران كابوتشي من دعاة القضية الفلسطينية في

أنحاء العالم، لكن الحاصل أن الرجل، رغم أنه غادر القدس إلا أنها ظلت حاضرة في قلبه، حتى إن متحدثاً باسم الحكومة الإسرائيلية صرح ذات يوم بالقول «أعتقد أن قرار الإفراج عن كابوتشي كان قراراً خاطئاً فالحقيقة أن المطران الذي قوبل بالإعجاب من قبل الفلسطينيين عكف في منفاه على نشر الدعاية لصالح المنظمات الإرهابية».

هذا هو إذاً دور الجسر الذي قام به كابوتشي في العالم أجمع مستغلاً وضعية ونفوذ الكرسي الرسولي لدولة الفاتيكان لنشر الحقيقة واضحة ساطعة حتى يعمي نورها عيون المحتل ويفضح أساليبه وطرقه الخبيثة.

غادر هيلاريون كابوتشي القدس لكنها لم

هدمه الاحتلال جسر الحقائق الذي حاولت أن تحل محله جدران الأكاذيب لكن الثائر الذي أتى من حلب كان لها بالمرصاد، فعنده أن إنسانية الإنسان تتجلى بأسمى معانيها في موقفين لا ثالث لهما:

أولاً: مناصرة بحزم ومن دون هوادة المظلومين والمسحوقين والمستضعفين والمضطهدين.

ثانياً: التصدي للظالمين الطغاة أيًا كانوا ومهما بهظ الثمن وأي نهج آخر أو سلوك مغاير هو تهرب من المسؤولية وغسل للأيدي بأسلوب بيلاطس.

العروبة أولاً:

ويتساءل الأسقف كابوتشي «لماذا وجب علي أن أجد نفسي لنجدة ومساعدة هذا الشعب مدافعاً عن قضيته المأساوية العربية الفلسطينية؟» ويجيب قائلاً:

«لأنني أولاً عربي أمي ولدتي عريباً بلاد العرب أوطاني لذا في أعماقي أشعر بأنني مواطن ابن وخادم في كل بلد عربي. عندما أسأل عن أصلي وفصلي عن حسبي ونسبي أجيب بافتخار أنا عربي، نحن العرب نؤلف أسرة واحدة لذا نحن أعضاء في الجسم الواحد وبالتالي عذاب عضو واحد هو تلقائياً مبعث ألم لكل الأطراف أي عجب إذاً بمشاطرتي الفلسطيني العربي عذابه؟

حياتي وبعد أخذ ورد طويلين بين الفاتيكان وإسرائيل قبلت إسرائيل بإطلاق سراحي، بشرط أن أخرج دون أن أعود وكان ذلك في ٢٠/٢/١٩٧٨م ولم أزل حتى هذه الساعة أنتظر عودتي إلى وطني إلى قدسي وشعبي أنتظر نهاية غربيتي».

وإذا كان المثل العربي يقول إن «الغربة كربة والهم فيها حتى الرربة» فإن المطران كابوتشي يرى الهم فيها حتى الرربة.

وفي مجالس كابوتشي ولقاءاته بوسائل الإعلام الغربية والعربية يثير عواطف وأشجان الجموع بقوله أنه ميت موت معنوي إذ يقول «ما الموت إلا فراق ما هو عزيز، عائلة، أولاد، أصدقاء، أملاك، مال، إلى آخره» ويتساءل وهل أعز عند الأسقف من شعبه ومن أرضه؟ هذا الفراق القسري المفروض علي هو الموت المعنوي يموت الإنسان مرة فقط جسدياً ويموت ١٠٠ مرة في النهار معنوياً.

والمؤكد أن ما سبق لم يكن مجرد حديث مرسل ذلك لأن المطران الذي أبعد قسراً عن شعبه وأرضه قد استغل ذكرى مرور مئة وخمسين عاماً على بناء كنيسة بطريركية الروم الكاثوليك المعروفة بكنيسة سيده البشارة في القدس الشريف ليذكر العالم بحال تلك الأرض المقدسة وليعيد بناء جسر

هي الحياة، والوطن عنوانها الفلسطينيون ليسوا مجرد لاجئين هم شعب من ستة ملايين نسمة من حقهم إذا أسوة بشعوب العالم كلها، تقرير مصيرهم وإقامة دولتهم المستقلة على أراضيهم المغتصبة نحن لا نستجدي. هذا حقناً.

ويكمل المطران كابوتشي بناء الجسر من خلال اطلاع الرأي العام الغربي من مقره وعبر كتاباته على ما آلت إليه الأحوال في فلسطين عامة، والقدس خاصة، بعد الاحتلال. راسماً صور مؤلمة تمجها النفوس الأبية من أي جنس ولون ودين فيصف مشهد القدس في التاسع من يونيو حزيران شهر النكسة، قائلاً «فيما كنا وسماحة الشيخ سعد الدين العلمي مفتي القدس رحمه الله، ونحن نتجول في شوارع القدس الخالية بسبب منع التجول كي نتفقد أحوال أبنائنا لنجدة الجرحى ولتأمين الطعام للجوع ولتعزيز الحزاني والثكالي والأرامل بلغ مسامعنا عبر المذياع صوت حاخام الجيش الإسرائيلي «شلومو غورين» يصرخ مخاطباً الجماهير الإسرائيلية الغفيرة المحتشدة بالقرب من حائط المبكى الأفرحوا وتهلّلوا، حلم الأجيال قد تحقق لقد عدنا إلى ديارنا لقد حررنا قدسنا عاصمتنا الأزلية الأبدية هي خاصتنا، شعرت بالألم والمرارة بعد أن

ثانياً لأنني مسيحي والعلامة المميزة لي هي المحبة لأي إنسان، وكل إنسان وبالأخص المعذب أيّاً كان دينه، مذهبه، قوميته، لغته، هو شخص تعيس من لا يفقه معنى الحياة وسعادتها ولذتها في العطاء الذي فيه وليس في الأخذ كل الغبطة والهناء. ثالثاً إني رجل دين، تجسيد المبادئ والقيم والأخلاق من واجباتي، من مقوماتي (أنتم نور العالم، أنتم ملح الأرض) هل يعقل إذاً أن أتغاضى عن نجدة المعذبين متجاهلاً ماضيهم؟ ما كنت إذاً رجلاً والدين مني براء».

رسائله للعالم:

هكذا ذكّر المطران كابوتشي العالم الغربي بحقائق كثيراً ما غابت عن ناظره بل وطالب الحكام والقيادات الدينية والديوية بمطالب أوجزها في تنفيذ القوانين الدولية التي تحرم أولاً احتلال أراض الغير بالقوة وتحتم تحريرها ثانياً وتأمراً بعدم المساس بمعاملها. ثالثاً وهذا ما تنص عليه قرارات هيئة الأمم ومجلس الأمن من جلاء إسرائيل إذاً عن أراضينا العربية المحتلة كافة في فلسطين في سورية كي نضع حداً لعذابنا، ومعاناتنا والمأرب الوحيد عند المطران كابوتشي للعرب والفلسطينيين هو أن نعيش لكن أي عيش؟ يضيف «العيش ليس أكلاً وشرباً الكرامة

مسلميهها على السواء فالمسيحية اليوم في فلسطين في خطر وعدد المسيحيين في كل فلسطين اليوم لا يتعدى ١٥٠ ألف.

والتساؤل الذي طرحه كابوتشي لماذا هاجروا ورحلوا عن مهد المسيح؟ ويجب لأن الحياة الكريمة تحت نيران الاحتلال أمر شاق، وعسير ولا تقبله غير أنفس رجال ذو بأس وعزم شديدين، فالذل والهوان تحت الاحتلال من جهة وبحث الأهل عن مستقبل كريم لأولادهم يدفعهم للذهاب بعيداً، بينما يبقى مسيحيو العالم مجرد متفرجين على ما يجري.

وفي مقام آخر ناشد المطران كابوتشي العالم الحر وقف إجراءات تهويد القدس مذكراً بالإجراءات التي اتخذتها قوات الاحتلال بعد عشرين يوماً من السابع من يونيو عندما اتخذت الكنيسة القرار ٢٠٦٤ القاضي بضم القدس وتوحيدها

واتبعه رويداً رويداً بإجراءات متتالية غيرت مع الأيام معالمها كلياً وهودتها ومنها:

١- عزل القدس عن الضفة الغربية سياسياً إذ منحونا هوية قدسيه بعد إحصاء دقيق.

٢- نقل بعض المؤسسات الرسمية الحكومية الإسرائيلية إلى القدس بهدف

غابت عن القدس مسحتها القدسية ورأيت بواكير اضمحلالها إلى أن تحولت إلى مجرد بلد سياحي وهودت.. على أن التحدي والتعدي بلغا ذروتها بإعلانهم القدس عاصمة موحدة أبدية لدولة إسرائيل».

أما ما يدمي ويبكي القلوب والعيون فهو مشهد الشهداء المبعثرة جثثهم على الطرقات كما يصف المشهد: «كانوا قد أنتنوا(*)»، لأن المحتل أصر على تركهم أياما تحت الشمس المحرقة فعملنا، سماحة الشيخ سعد الدين العلمي وأنا مع شبان متطوعين على الممتهم ومن ثم دفناهم في حفرة واحدة، سماحته تلا صلاته راحة لنفوسهم وأنا بعده كذلك دون التمييز بين مسيحي ومسلم لأن دينهم بعد استشهادهم هو شهادتهم».

ومما لاشك فيه أن الشهادة العلنية التي شهدها المطران كابوتشي كانت ضمن أسباب أخرى وراء الإصرار الفاتيكاني إزاء إحقاق حقوق الشعب الفلسطيني في عيون الأوروبيين والأمريكيين والعالم كله فالفاتيكان يصر على عودة الفلسطينيين إلى أراضيهم لأن هذا حق مشروع لهم أقره القرار ١٩٥ الصادر عن هيئة الأمم المتحدة كما أن تلك الشهادة تنبه إلى ظاهرة خطيرة للغاية وهي محاولة إفراغ القدس من مسيحييها بل ومن

عليها تقوم ببناء آلاف الوحدات السكنية تنفيذاً لمخططها (القدس الكبرى) ولفصل القدس نهائياً عن الضفة الغربية». ولكي يبطل الرجل أكاذيب اليهود المتطرفين الذين يصورون العرب على أنهم كارهين للسلام سفاكي دماء فإنه عمد ويعمد على الدوام على إظهار موقف العرب والمسلمين عامة والفلسطينيين خاصة من قضية السلام بما يترك عظيم الأثر في نفوس مستمعيه من رجال دين ودنيا في العالم والعواصم الغربية فيقول «نحن طلاب سلام.. والسلام هو استراتيجيةنا نحن نعشق السلام لأننا نرى فيه طاقة وكنزاً، وعندما نتكلم عن السلام فنحن صادقون لأنه في السلام لوحده الخلاص وطالما لا نعلم بالسلام نبقي معذبين مشردين تائهين بدون كرامة إذن السلام في مصلحتنا».

وفي الوقت ذاته يثير في قلوب وعقول الآخرين تساؤلاً جدياً حول السلام عند إسرائيل وهل هو في مصلحتها حقاً؟ ويرد «إسرائيل تتكلم عن السلام وتعمل للحرب ولعل تصريحات كبير الحاخاميين في السنوات الماضية «هودي عودي» يكشف عن نواياهم عندما وصف العرب بالأفاعي قاتلاً: أن الرب ندم لأنه خلق العرب من ذرية إبراهيم».

إلغاء قطاع الخدمات العربية لاستيعابها.
٣- المباشرة بتطبيق المناهج الإسرائيلية في الثقافة والتعليم.

٤- تصفية شركة كهرباء القدس أهم مرفق اقتصادي عربي. ولا يقتصر الأمر على هذا النحو لكنه ينبه كل المعنيين وخاصة في المنظمات الدولية والمسؤولين عن التراث الإنساني إلى المحاولات الإسرائيلية للقضاء على التراث الإسلامي والمسيحي، ذلك لأنها ماضية في غيها تجاههما على قدم وساق ومن هذه المحاولات:

١- الحفريات الجارية حول وتحت المسجد الأقصى لتصديعه وتخريبه.

٢- محاولة أولى وثانية لإحراق أولى القبليتين وثالث الحرمين الشريفين.

٣- مصادرة أديرة واعتداء على كنيسة القيامة وسرقة تاج السيدة العذراء إضافة إلى مصادرة عقارات إسلامية ومتحف الآثار الفلسطينية.

٤- تدمير أحياء عربية بكاملها حي الشرف، حي الباشورة، حي المغاربة، «رأيتهم بأعين العين يهدمون مئات المنازل ويهجرون آلاف السكان لإحداث الباحة الكبيرة أمام حائط المبكى لاستيعاب أكبر عدد من المصلين.

إن إسرائيل فيما تخرب بيوتنا وتستولي

وفي شباط ٢٠٠٩ كان المطران كابوتشي على متن سفينة الحياة الإغاثية التي كانت تحمل الأمتعة والغذاء لأهالي غزة المحاصرين على يد السلطات الإسرائيلية، حيث تمّ مصادرة كل ما فيها على شواطئ فلسطين المحتلة وطرد كل من وُجد هناك إلى لبنان. بينما رحل المطران كابوتشي إلى مدينة القنيطرة عبر الجولان المحتل ليستقبل هناك استقبالاً شعبياً حاشداً، وتحدث إلى الصحافة واصفاً ما تعرض له من إهانات على يد الجنود وعناصر الموساد الذين لم ينسوا عدوهم القديم ولن ينسوه أبداً.

الحلم والرؤيا:

«إلهي اكلاً بعينك الساهرة حكمانا العرب أجمعين ليعملوا لما فيه فلاح أمتنا الكريمة ووحدتها كي نحقق ما نحلم به وإليه نصبو، جمع شملنا كراما مسيحيين ومسلمين في رحاب الجامع الأقصى وكنيسة القيامة فيما المآذن تصرخ الله أكبر متناغمة مع أجراس الكنائس وهي تفرع مهللة لعودتنا منتصرين إلى ديارنا إلى مقدساتنا إلى قدسنا العربية المحررة عاصمة دولة فلسطين».

بهذه الدعوة التي هي أقرب إلى الدعاء يختتم المطران كابوتشي رؤيته ويعبر عن

هم إذاً لا يريدون السلام فهو في نظرهم العدو الأكبر لأنه يعني الحدود الواضحة وإسرائيل لا تزال تحلم بإسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات هي لا تريد السلام لأنه لا يمكنها بعد ذلك أن تدعي أنها محاطة ببلاد عربية تريد أن تتقض عليها».

قضايا العرب في وجدانه:

وإذا كانت قضية القدس قد استوعبت سني حياة المناضل العربي الكبير المطران هيلاريون كابوتشي فإن مواقفه في واقع الأمر قد تعدت القدس وفلسطين المحتلة ليشارك في عدد من المشاهد التي عاشها العالم العربي جريحاً كسيراً كما في العراق التي زارها على رأس وفد من رجال الدين المسيحي والمنتقنين الإيطاليين وغيرهم من الجنسيات الأوروبية في زيارة قال عنها إنها تستهدف التعبير عن التضامن مع الشعب العراقي ضد الحصار الدولي الذي فرض عليه والذي أدى إلى وفاة الآلاف من شعبه جوعاً ومرضاً وقد جاءت رحلة كابوتشي لتعمق عند الكثير من الدول الأوروبية رفضاً واضحاً للهيمنة الأمريكية هناك، والتي كانت أيضاً ولا تزال سبباً رئيسياً في ما تقوم به إسرائيل في الأرض الفلسطينية المحتلة.

منية قلبه وشهوة نفسه. ونقول أليس في
هذه الدعوة جسراً صادقاً رائقاً من شوائب
الكرهية وخزعبلات التصادم بين الأديان
والحضارات؟ المؤكد أن ذلك كذلك وأن
التائر القادم من حلب قد أبطل بشهادته
دعاوى هنتجتون وأفشل مؤامرات برنارد
لويس ومن شابه.

الهوامش

(*) أتنوا: تفسخت جثثهم، وانتشرت روائعهم.

المصادر

- ١- مقابلة في ٨/١/٢٠٠٩ مع قناة الجزيرة الفضائية ضمن برنامج فلسطين تحت المجهر.
- ٢- من كلمة المطران كابوتشي في الملتقى العربي والدولي لحق العودة في دمشق. ٢٣/تشرين الثاني/٢٠٠٨.
- ٣- العمل الفدائي.. البدايات - نظمي أبو زاهر. ط٢- بيروت ١٩٨٠م.

